المحور الأول: رفاعة رافع الطهطاوي كتاب "تخليص الإبريز في تلخيص باريز"

تمهيد:

يشكّل النص النثري العربي الحديث أحد أبرز إنجازات النهضة الأدبية الحديثة، في أواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، إذ ارتبط بوعي جديد للذات واللغة، وبحركة إصلاحية نهضوية سعت إلى تجاوز قيود الأسلوب التقليدي الموروث، وقد تأثر ظهوره بالتحولات الفكرية والاجتماعية والسياسية، وبالاحتكاك المباشر بالثقافة الأوروبية عبر الترجمة والبعثات، ليُنتج خطابًا نثريًا متحررًا من الصرامة البلاغية، متنوع الأشكال، ومواكبًا للتحولات الكبرى في العالم العربي.

جاء هذا النثر بعد قرون من السكون الأدبي النسبي، حيث كانت الأجناس الأدبية المهيمنة هي الشعر، والخطابة بلغة فصحى تقليدية مملوءة بالبلاغة والزخرفة، لقد كان الأدب السابق للعصر الحديث يقدّر المهارة اللفظية عند كتاب النثر، لكنه لم يكن يسعى للابتكار بل للتمكّن من اللغة بلاغيًا وإتقان الأسلوب.

ومن أبرز العوامل التي أدّت إلى نشوء النثر العربي الحديث، حملة نابليون على مصر سنة 1798 فهي كانت عاملًا محفّزًا مهمًا في تطور النثر العربي الحديث، لا وحدها، لكنها شرارة ساعدت على تنبيه العقل العربي إلى حاجته للتجديد العلمي والثقافي، وإدخال أدوات وتقنيات (كالطباعة والمطبعة) لتوسيع الفعل الكتابي، وفتح مجالات جديدة للكتابة: المقال، الترجمة، الوصف العلمي، السرد التاريخي، وهذا أدى إلى إحداث تحول في الأسلوب اللغوي نحو الوضوح والبساطة والتقرّب من لغة الواقع والمستجدات.

شهد النثر العربي الحديث أيضا ترجمة روايات ومسرحيات وكتب أدبية من لغات أجنبية إلى العربية، مما أدخل نمطًا أدبيًا جديدًا وأساليب سردية مختلفة، ولعبت مصر دورًا مركزيًا في إدخال الأدب الغربي، وتطوير أسلوب اللغة العربية المكتوبة ليصبح أكثر بساطة وقربًا من القراء.

وتطوّر النشر الصحفي والمجلات الفكرية كمساحات لنشر المقالات، والتحليلات، والخطب، والنصوص الأخرى مما سهّل تعريب الأفكار الجديدة وانتشارها بين عامة المثقفين والقراء، وقد ساعدت المجلات على نشر رؤية إصلاحية، ثقافية وسياسية تُعبِّر بلغة مبسّطة وعصرية مقارنة بالخطاب الأدبي التقليدي.

دعاة مثل رفاعة رافع الطهطاوي والمنفلوطي وجمال الدين الأفغاني ومحمد عبده وغيرهم كانوا من روّاد فكر التحديث والإصلاح، مستخدمين الخطبة والمقال كوسائل للتعبير عن قضايا العصر، ساعدت هذه

الشخصيات في تحدّي الأطر التقليدية للنثر، وجعل الرسالة الأدبية تخاطب الواقع والمجتمع بوضوح، مع الحفاظ على اللغة الفصيحة، فمحمد عبده مثلاً كتب مقالات إصلاحية بلغة واضحة وبجمل أقرب إلى النثر اليومي دون تزيين مفرط.

وفي بدايات النثر الحديث ظهرت أساليب ومواضيع وفنون جديدة ولغة مغايرة تتميز بما يلي:

- **الأساليب أصبحت بسيطة وأكثر وضوحًا:** تراجع استعمال الزخرفة البلاغية المفرطة وتوسع استخدام الجمل التي تخاطب القارئ مباشرة، مما قرب النص من المتلقي.
- **المواضيع متعددة:** أصبح الموضوع الديني لا يحتكر النثر وحده، بل ظهرت مقالات تتناول التعليم، السياسة، المجتمع، الهوية، والتحديث.
- **الفنون الأدبية الجديدة:** بالإضافة إلى المقال والخطبة، برزت الترجمة كوسيلة لدخول أجناس مثل القصة القصيرة والرواية والمسرحية، وإن لم تكن قد أعلنت نفسها بشكل مستقل من البداية، إلّا أنّ تأثيرها كان واضحًا في الشكل والمضمون.
- **تغيير في اللغة المكتوبة:** حيث بدأت اللغة المكتوبة تستعير مفردات وتراكيب جديدة، تتأثر أحيانًا باللغات الأوروبية، وتتجه نحو لغة فصحى مبسطة تكون أقرب إلى التعبير اليومي، مما ساعد على توسيع جمهور القُرّاء.

بعد هذه البدايات، بدأ النثر العربي الحديث يتوسع في الشكل والمضمون، وازداد عدد الكتاب الذين قرروا الابتعاد عن التقليد، وابتكار أساليبهم الخاصة، فظهرت مقالات صحفية وسياسية، وخطب، وتحقيقات أدبية، تُعنى بالواقع الاجتماعي والتحولات الثقافية.

كذلك، بدأت المجلات والمطبوعات تلعب دورًا تنظيماً ونشراً لهذه الكتابات، مما ساعد على تداول النصوص وتبادل الأفكار بين بلدان عربية مختلفة، هذه التطورات لم تحدث فجأة، بل كانت تدريجية، ففي البداية كانت الترجمة تُعامل بتروٍ، واللغة الجديدة تُقوَّل بحذر، لكنها سرعان ما **اكتسبت شرعية أدبية وثقافية حتى أصبحت جزءًا من الأدب العربي الحديث.**

ويعد كتاب "**تخليص الإبريز في تلخيص باريز**" من أهم كتب النثر العربي الحديث، ألفه رفاعة رافع الطهطاوي خلال البعثة العلمية إلى باريس (1826–1831م)، حيث كان مشرفًا على الطلاب، وملاحظًا لما شاهده من أحوال البشرية هناك، الكتاب صدر أولًا حوالي عام 1834م، وهو يمثل مزيجًا من الوصف والمقارنة والدعوة للتجديد والإصلاح.

1/ رفاعة رافع الطهطاوي من الطفولة إلى البعثة:

وُلد رفاعة رافع بن بدوي بن علي الطهطاوي عام 1216 هـ = 1801 م في مدينة طهطا بصعيد مصر، محافظة سوهاج، حفظ القرآن وتعلم مبادئ العلم في صغره، ثم انتقل إلى القاهرة حوالي 1817م، ليلتحق بالأزهر الشريف حيث تلقّى علومه الشرعية والعربية.

درس في الأزهر تحت إشراف الشيخ حسن العطار وغيره من علماء الأزهر، بعد ذلك، اختير ليكون إمامًا للبعثة التعليمية التي أرسلها محمد علي باشا إلى باريس في عام 1826م، حيث مكث حوالي خمس سنوات يدرس اللغة الفرنسية، ويتعرف على الثقافة الغربية، والفكر السياسي والاجتماعي والعلمي.

عند عودته إلى مصر، ساهم بقوة في جهود التحديث والإصلاح، أسّس مدرسة الألسن (School of Languages) عام 1835م في القاهرة، التي كانت مركزًا لترجمة الأعمال الغربية إلى العربية، وتعليم اللغات، وتكوين المترجمين والمهتمين بالمعرفة الجديدة.

تولَّى مهامًا تعليمية وإدارية كثيرة، منها مسؤوليات في الترجمة، في التعليم، وفي النشر، وكان الطهطاوي من أوائل العلماء الذين حاولوا الموازنة بين الثقافة الإسلامية والانفتاح على الغرب؛ لا قبوله الأعمى بكل ما هو غربي، ولا رفضه الصارم، بل تبنّى منهجًا نقديًّا لاستخلاص ما يمكن الاستفادة منه.

أكد على أهمية التقدم المادي والاجتماعي، لكن ضمن إطار من القيم الأخلاقية والدينية، ورأى أن الدولة يجب أن تسعى لنفع المواطنين، وأن التعليم والمعرفة هما الطريق نحو تحديث المجتمع، توفي الطهطاوي في 27 مايو 1873م = 1290 هـ في القاهرة.

2/ بين التخليص والتلخيص: جدلية العنوان والمعنى في كتاب الطهطاوي النهضوي

العنوان يتكوّن من أربعة أجزاء رئيسية: تخليص/الإبريز/في تلخيص/باريز، كل جزء من هذه الأجزاء يحمل دلالة مخصوصة تساعد على فهم الرؤية التي أرادها الطهطاوي من كتابه.

كلمة "**تخليص**" تحمل معنى التنقية، الابتعاد عن الشوائب، التصفية، القصد إلى إيصال الجوهر، هي فعل استجلاءٍ ورفعٍ لما يعيق الفهم أو ما هو مختلط، و"**الإبريز**" معناه في اللغة العربية هو الذهب الخالص أو القطعة النفيسة من المعدن، ما لا يشوبه اختلاط أو دَمَس، يُقال "ذهب إبريز" عندما يكون خالصًا، لا مختلطًا بشوائب، أما "**تلخيص**" تعني تلخيصًا، اختصارًا، تقديم مضمونٍ مركّز من الشيء ثم عرضه، في حين كلمة "**بارِيز**" هي الاسم العربي لباريس باللغة العربية في عصر النهضة.

يوحي استخدام "تخليص" بأن الطهطاوي ليس مجرد مُسجّل للخبر، بل إنه ناقد ومُرشِّح: بتخليص الإبريز — أي أن يجتهد في إيصال الحقيقة النقية من الرحلة والتجربة التي قام بها، مما يُفيد القارئ ويُروج للفكر التجديدي، واختيار الطهطاوي لكلمة "الإبريز" يدل على سعيه لتقديم ما هو مُختار ونقيّ من تجربته في باريس؛ ليس مجرد وصف عابر أو تسجيل عام، بل انتقاء الأجود، ما يُفيد، جوهر الخبرة، ما يكون صالحًا للاستفادة والتعمق، العنوان يوحي بأن الطهطاوي يريد أن يخلّص الكتاب مما هو ثانوي أو مجاملة أو مبالغة، ليُخرِج منه ما هو ذهبي، وهو ما يُمكن أن يُستفاد منه من تجربة باريس.

أما "في تلخيص" توحي بأن الكتاب ليس عرضًا مطوّلًا لكل التفاصيل، إنما اختصارٌ لما رآه الطهطاوي مهمًا، ما يجمع بين الوصف والتقصير، أي اختيار الأهم لعرضه، و"في تلخيص" أيضًا تربط بين الإبريز (الشيء النقي) وبين باريس، أي أن جوهر باريس – ثقافتها، نظمها، تجاربها – يُلخّص في هذا الكتاب، أي يُقدَّم باقتضاب، دون إسهاب زائد، مبتغياً إيصال الفائدة، واختيار "باريز" بدلاً من "باريس" بالإنجليزية يدل على محاولته الالتزام باللفظ العربي مع التعريب، و"باريز" تشير إلى المكان المادي، العاصمة الفرنسية، مركز الحضارة والمرافق الحديثة آنذاك، وباريس ليست فقط موضع الرحلة والتجربة، بل رمزية للتحديث، العلوم، الثقافة، التغيير.

من خلال تحليل دلالات العنوان، يمكن أن نستنتج ما يلي:

الجوهر مقابل التفصيل، بما أن الطهطاوي استخدم "الإبريز" و"تلخيص"، فإنه يريد أن يقدم رحلة معرفية مركزّة، تُمكِّن القارئ من الحصول على "الذهب النقي" من التجربة الفرنسية: المؤسسات المفيدة، العلوم النافعة، الأساليب الاجتماعية الإيجابية؛ مع استبعاد ما هو فقط زينة أو رفاهية لا فائدة منها.

موقف التقييم والنقد البناء، العنوان يوحي بأن الطهطاوي لا ينقل النقلَ الأعمى، بل ينتقي ويميّز: ما يُستحق "التخليص" من كل ما هو غني بثقافة الغرب لكنه قد لا يصلح نقله كما هو، وما ينبغي نقله بحذر، وما ينبغي اعتقاده أو تعديله، أو المقارنة معه.

الدعوة إلى الانفتاح على الآخر بعين واعية، اختيار "باريز" في العنوان، مع "تلخيص" و"تخليص"، يدل على أن الهدف هو أن يكون هذا الكتاب جسراً بين العالمين: أن يرى القارئ العربي/المسلم فرنسا والمجتمعات الغربية ليس ككيان مُعجَّل لا يُناقش، بل كمصدرٍ يُقرأ منه، يُلخّص، يُنقّح، يُستفيد، مع الاحتفاظ بالذاكرة الذاتية والثقافية.

توقع المُتلقي، من العنوان، القارئ يتوقع وصفًا لباريس، ملاحظات من الرحلة، وربما نقدًا موازنًا، كما يتوقع أن لا يكون السفر مجرد صورٍ للأشياء الغريبة، بل اختيار لما هو جديرٍ أن يرويه المرءُ لغيره، ما يُفيد العقل والفكر والإصلاح.

إذن، العنوان "تخليص الإبريز في تلخيص باريز" ليس عنوانًا عشوائيًا، بل محكم البُنية، يعكس وظيفة الكتاب: تنقية المعرفة، اختيار الجوهر، تقديمه باقتضاب وفائدة، مع روح من النقد البناء، إنه عنوان يجمع بين الوصف والدعوة: وصفُ باريس وما فيها، ودعوةٌ للقرّاء العرب أن يخلّصوا إبريزهم من تجارب السفر والتجديد، وأن يختاروا ما يصلح للتطبيق، وأن يفهموا العالم الآخر بفهم لا بسذاجة.

3/ الهيكل البنائي ومسارات الخطاب النهضوي في الكتاب:

يستهل الطهطاوي كتابه بمقدمة يشرح فيها الهدف من السفر والبعثة التعليمية إلى فرنسا، ومبررات كتابة هذا الكتاب، مؤكّدًا أنه لا يرغب بمجرد العرض والإعجاب، وإنما في التأمل والمقارنة بين حال فرنسا ومصر، لاستخلاص ما يمكن أن يُفيد وطنه، وما يحتاج إلى إصلاح.

يتضمّن الكتاب وصف الرحلة من مصر إلى فرنسا، بما في ذلك الخروج من مصر والدخول إلى مرسيليا وصولًا إلى باريس، مع ملاحظة ما شاهده منذ البداية من الفوارق في نظام النقل، والترتيب، وأساليب المعيشة، والعادات.

ومن أهم المحاور الرئيسية في الكتاب هو التعليم، حيث تطرق إلى كيف يُدار التعليم في فرنسا، والمراحل الدراسية، والمواد التعليمية، وكيفية تقديم الامتحانات، وكيفية تنظيم الفصول الدراسية، وطريقة استخدام الكتب وغيرها، فالطهطاوي يوضّح تفاصيل مما قرأه ودرسه وامتحِن فيه .

كما يصف الطهطاوي في الكتاب الحياة الاجتماعية في فرنسا: العادات، اللباس، التجهيزات المعيشية، السلوك اليومي، النظام العام، مَدَى احترام الوقت، النظافة، التعامل بين الناس، دور المرأة، وغيرها من السلوكيات التي لفتت انتباهه.

بعد العرض والمراقبة، يدخل الطهطاوي في مقارنة بين ما رآه في فرنسا وبين ما هو عليه في مصر: من حيث التعليم، التنظيم، المؤسسات، القوانين، احترام النظام، مدى الكفاءة في الإدارة، وغيرها، ويظهر في هذا الجانب موقفه النقدي البناء؛ أي أنه لا يكتفي بالوصف بل يُبيّن ما يمكن تحسينه في مصر من التجربة الفرنسية، وما لا يُناسبها.

لم يكتفي الطهطاوي بوصف الأحوال المادية والاجتماعية، بل يهتم أيضًا باللغة والعادات اللغوية، بالتعرّف على اللغة الفرنسية، بترجمة بعض مقالاته وملاحظاته، وبكيفية تفاعل اللغة الفرنسية مع الواقع، وكيف يمكن أن تُترجَم بعض المفاهيم إلى العربية مع الحفاظ على وضوحها ودقتها، أراد أن يبرز البعد المعرفي واللغوي للكتاب.

يختم الطهطاوي الكتاب بعرض للدروس والعبر التي خلص إليها، ودعوة للتأمل والإصلاح؛ يدعو إلى الاستفادة مما يُفيد مِن التجربة الفرنسية، دون الانحياز الأعمى أو الاستلاب، مع الحفاظ على القيم الإسلامية والعربية، كما يدعو إلى تحسين التعليم، إعطاء المرأة حقها، تنمية المؤسسات، تعزيز النظام، وتقدير العلم والعمل.

4/ الوعي الفكري والهدف الإصلاحي:

يُبيّن الطهطاوي أن الهدف من الكتاب ليس مجرد سرد رحلة أو تسجيل مشاهد من فرنسا فحسب، بل هو دعوة إصلاحية موجهة إلى محمد علي باشا – وإلى مصر عامة – لتبني ما يمكن تبنيه من نظم ومؤسسات غربية مفيدة، في هذا الموقف الدعوي، تظهر الرغبة في المقارنة بين واقع مصر وواقع فرنسا بكافة أبعادها: التعليمي، الاجتماعي، الثقافي، القضائي، والعمراني، فالطهطاوي لا ينقد أوروبا باعتبارها نموذجًا كاملًا، لكنه يلتقط ما يراه جديرًا بالتقليد، ويشير إلى مواطن الضعف في مصر التي ينبغي إصلاحها.

سعى الطهطاوي إلى تحقيق جملة من الأهداف الفكرية والمعرفية يمكن تلخيصها في ما يلي:

1. نقل مظاهر التمدن الأوروبي إلى القارئ العربي في صورة وصفية تحليلية، بهدف اطلاعه على نظم الحياة الحديثة.

2. الدعوة إلى إصلاح التعليم، إذ أبرز تفوق النظام التربوي الفرنسي وطالب بتجديد المناهج في مصر بما يوافق روح العصر.

3. إبراز قيم العدالة والمساواة والحرية، مستخلصًا منها دروسًا أخلاقية وسياسية يمكن أن تسهم في بناء الدولة الحديثة.

4. تقديم نموذج عملي للاقتباس دون ذوبان؛ أي الدعوة إلى الاستفادة من الغرب مع الحفاظ على الثوابت الإسلامية والعربية.

5. إرساء وعي حضاري نقدي يجعل من العقل والعلم أساسًا لتقدم المجتمع.

يتّسم موقف الطهطاوي الفكري بالاعتدال والاتزان، إذ رفض الانبهار الأعمى بالغرب كما رفض الانغلاق على الذات، ويمكن تحديد معالم هذا الموقف في النقاط التالية:

1. يقدّر التقدّم العلمي والتنظيم الاجتماعي في فرنسا، لكنه ينتقد الانحلال الأخلاقي وبعض الممارسات المتحرّرة.

2. يؤمن بأن الدين الإسلامي لا يتعارض مع المدنية الحديثة، بل يدعمها في إطار من الأخلاق والعقل.

3. يمزج بين المرجعية الشرعية والفكر الفلسفي التجريبي الأوروبي، مما يجعل خطابه وسطًا بين التقليد والحداثة.

4. يرى أن النهضة الحقيقية تبدأ من إصلاح الإنسان المصري والعربي عبر التعليم والعمل والانضباط.

5. التبشير بفكرة المواطنة والحرية المسؤولة، وهي قيم كانت غائبة في الوعي العربي قبل عصر النهضة.

يُمكن القول إن الطهطاوي لم يكن ناقلًا لمظاهر الحضارة فحسب، بل كان مفكرًا نقديًا سعى إلى تأسيس نموذج للنهضة يقوم على التفاعل الواعي مع الآخر، في ضوء قيم الدين والعقل، ومن ثمّ، أصبح الكتاب منطلقًا لخطاب الإصلاح والحداثة في الفكر العربي الحديث.

5/ مقاربة أسلوبية في الكتاب:

يتنوّع مضمون الكتاب بين الوصف الرحلي والتأمل الاجتماعي والسياسي، ويمزج الطهطاوي فيه بين التجربة الذاتية والرؤية الموضوعية، فهو لم يكن مجرّد رحّالة، بل مفكرٌ يترجم تجربة حضارية إلى وعي نقدي عربي.

أما بالنسبة لأسلوب الطهطاوي في الكتاب يتميز بمزيج فريد يجمع بين التراث والبلاغة العربية الكلاسيكية وروح الكتابة الحديثة وبساطتها، حيث يستخدم الصور البلاغية الدقيقة في تصوير المدن والعادات والنظم، فيقارب الأسلوب السردي الوصفي الحديث، ويكثر من الألفاظ المترجمة عن الفرنسية (كالحرية، النظام، الحكومة، الأمة)، ممهِّدًا لتحديث اللغة العربية، كما يعتمد المنطق والبرهان لإقناع القارئ، بعيدًا عن الوعظ التقليدي، ويحرص على التوازن بين الإعجاب بالحضارة الغربية والحذر من الانبهار بها، بلغة مهذبة ومنضبطة.

إنّ الأسلوب عند الطهطاوي ليس مجرد أداة تعبير، بل هو جزء من المشروع الفكري نفسه، لأنه يجسّد انتقال اللغة العربية من السرد التراثي إلى الخطاب النهضوي الحديث.

كما أُشير أعلاه، يُنظر إلى كتاب "تخليص الإبريز في تلخيص باريز" غالبًا كجزء من أدب الرحلات، فهو من أوائل النماذج في الأدب العربي الحديث التي تمزج بين السرد الرحلي والخطاب الإصلاحي التنويري، فالطهطاوي يعرض مشاهداته وانطباعاته عن فرنسا والمجتمع الباريسي، ثم يتجاوز الطابع الوصفي إلى تحليل الواقع العربي ودعوته إلى التحديث، مما يمنحه بعداً فكرياً وسياسياً، وبعدها يتوجه إلى القارئ العربي بقصد نقل المعرفة الغربية وتكييفها مع البيئة الإسلامية، مما يمنحه طابعاً هجينا بين الرحلة، والمقال، والبحث الثقافي.

وعليه يمكن تصنيف هذا الكتاب بوصفه نصاً رحلياً تنويرياً يجمع بين أدب الرحلة والخطاب الفكري الإصلاحي، وهو يمثل الجنس الأدبي الوسيط بين الرحلة الكلاسيكية والمقال التنويري الحديث في الأدب العربي.

6/ القيمة الفكرية والأدبية:

يُعدّ الكتاب من أول النصوص التي دشّنت النثر العربي الحديث، إذ جمع بين روح الرحلة ووظيفة الخطاب الإصلاحي، فالطهطاوي لم يقدّم مجرد مشاهدات عن فرنسا، بل استخدم التجربة وسيلة لإعادة النظر في واقع المجتمع المصري والعربي.

قدم الطهطاوي رؤية متقدمة في التربية والسياسة والاجتماع تقوم على مبدأ "الأخذ بما لا يتعارض مع الدين"، ولم يكن سرده سطحيًا؛ بل رصد الظواهر وأعاد تأويلها من منظور تربوي وأخلاقي، ودعا إلى التفاعل مع الغرب دون الذوبان فيه، وهو موقف متوازن في زمن الانبهار الكلي، لقد نقل هذا الكتاب النثر العربي من مجال السجع والبلاغة إلى وسيلة للفكر والنقد الاجتماعي.

مع ذلك لا يمكننا نكران هيمنة النظرة الإعجابية على التحليل، في كثير من المقاطع يظهر الطهطاوي مأخوذًا ببهاء الحضارة الفرنسية، ما يقلّل أحيانًا من حدة الرؤية النقدية المقارنة، وغياب التأمل الذاتي العميق، فالكتاب يغلب عليه الطابع الخارجي الوصفي، دون تعميق كافٍ للأسئلة الفلسفية أو الوجودية حول العلاقة بين الذات والآخر، كما نلمس تذبذب بين الخطاب الديني والمدني، إذ يحاول الطهطاوي التوفيق بين المرجعية الإسلامية والقيم الغربية الحديثة، مما يولّد أحيانًا نوعًا من التناقض الخطابي، أيضا تداخل الأجناس الأدبية، فالكتاب يتأرجح بين الرحلة، والسيرة الذاتية، والنص التعليمي، وهو ما يجعل بنيته غير متماسكة فنيًا مقارنة بالكتابات اللاحقة في أدب الرحلة.

على الرغم من هذه الملاحظات، يبقى كتاب "تخليص الإبريز في تلخيص باريز" منعطفًا أساسيا في تاريخ الأدب العربي الحديث، لأنه جمع بين متعة الرحلة وجرأة الفكر الإصلاحي، فهو نصّ تأسيسي

لوعي جديد بالإنسان والمجتمع، وقد أسهم في فتح الباب أمام الأجناس النثرية الحديثة مثل المقالة، والسيرة، والنقد الاجتماعي.

إنّ القيمة النقدية للكتاب تكمن في كونه شاهدًا على التحوّل من التلقّي إلى الفعل الثقافي، ومن التبعية إلى الوعي بالذات، وبذلك، فهو نصّ نهضوي بامتياز، يستحق أن يُقرأ بمنهجية جديدة تراعي تداخله بين الفكر واللغة والواقع التاريخي.